الجزء الثالث ٣٠٥ المجلد الثاني والثلاثون



١ تموز سنة ١٩٥٧ م ٣ ذي الحجة ١٣٧٦ هـ

عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي

موجز ترجمته ، منزلته في الشعر ، البقية الباقية من شعره وأمثلة منه ، قصيدته اللامية المنسوبة الى السموءل ، قصيدته الفنية

-١-

أبو الوليد عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي شاعر شامي من فحول الشعراء في صدر الدولة العباسية ، لم يبق من شعره إلا نزر يسير ، وهذا النزر اليسير نسب بعضه الى غيره ، فأصبح من الشعراء المغمورين على علو منزلته في الشعر .

ينتسب عبد الملك إلى بني الحارث بن كعب ، وهم بطن من مَذْحِج من العرب القحطانية ، كان منهم في الجاهلية ملوك نجران ، ومنهم بنو عبد المَدان وبنو الديْان (١) . أما رهط عبد الملك من بني الحارث بن كعب فقد كانوا بالفَلَنْجة من أرض دمشق . قال المقدسي في صفة جزيرة العرب ص ١٣٠ :

(١) العبر لابن خلدون ٢/٢٥٥ .

«ومن بني الحارث بن كعب بيت يسكنون بالفَلَجة من أرض دمشق ، منهم عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي» وقال أيضاً في ص ١٣٢ : «جبل عاملة يطل على الأردن والفَلَجة [1] وبها رهط من بني الحارث وهم رهط ابن عبد الرحيم الحارثي» .

ضاعت أخبار الحارثي ، وضاع شعره إلا قليلاً منه ، حتى بلدته فقد درست منذ زمان بعيد وخفي مكانها وتعذر تعيينها على صاحب معجم البلدان ، ولولا المقدسي الذي ذكر الفَلَجة عرضاً لما عرفنا أنها من أرض دمشق وعلى الأردن .

ولعل السبب في ضياع أخباره وشعره أنه عاش في زمان غير زمانه من حيث السياسة والشعر أيضاً ، فهو عربي قحطاني شامي ، والدولة حينئذ كانت قد انتقلت من الشام الى العراق ، وأصبح للفرس فيها نفوذ عظيم ، كما تضاءل نفوذ العرب ، وأصبح الشامي محلاً للريبة والتهمة ، ولمع نجم الشعراء الموالي كبشار بن برد وأبي العتاهية وصريع الغواني والعباس بن الأحنف وأبي نواس الذي كان يتعاجم في شعره . وأسلوب هؤلاء في الشعر يختلف عن أسلوب الشعراء الأمويين ، والحارثي أشبه بالأمويين منه بهؤلاء المحدثين الذي عاش في زمنهم .

قال ابن المعتز في طبقات الشعراء [2] ص ٢٧٦ : «كان الحارثي شاعراً مفلقاً مفوّهاً مقتدراً مطبوعاً ، لا يشبه شعره شعر المحدثين الحضريين ، وكان نمطه نمط

(١) ورد في معجم البلدان : فَلَجة بالتحريك أحسبه موضعاً بالشام والفَلَجات في شعر حسان بالشام كالمشارف والمزالف بالعراق .

وورد في تاج العروس : الفَلَجات : المزارع قال (حسان) :

دعوا فلجات الشام قد حال دونها طعان كأفواه المخاض الأوارك

(٢) طبعة دار المعارف بمصر تحقيق عبد الستار احمد فراج .

الأعراب ، ولما قال قصيدته المعروفة العجيبة انقادت الشعراء وأذعنوا ، وهو أحد من نُسخ شعره بماء الذهب ، والقصيدة التي ذكرناها هي هذه :

هاأنذا ياطالبي ساعي محتضرٌ بَزِّي[1] إلى الداعي
أحمي حمى من غاب عن مذحجٍ ويحمد الشاهد إيقاعي
لا هَلِعٌ في الحرب هَاعٌ[2] إذا رنّق[3] فيها كل هِلْوَاعِ
قد باضت الحرب على هامتي وصممتني أذُنا واعي
واستودعتني مقلتي آرقٍ لا يضع الجنب لتهجاع
مستحصد المِرَّة ذي همةٍ ضرّار أقوامٍ ونفّاع
لا تؤخذ الغِرةُ منه وإنْ هيج به هيج بمنصاع
أشوس ينضو الدرع عن منكبٍ مثل سنان الرمح شعشاع[4]
كما ترى أنطع[5] ذا رُقْطَةٍ تنجاب عنه هبوة القاع

فاجتمعت الشعراء والأدباء على أن هذه الأبيات ليست من نمط عصره ، وأن أحداً لا يطمع في مثلها . ولعمري إنه لكلام مع فصاحته وقوته يقدّر من يسمعه أنه سيأتي بمثله ، فإذا رامه وجده أبعد من الثريا ، وكذلك الشعر المتناهي الذي ليس قبله في الجودة غاية . وقد سئل بعض العلماء فقيل له : ما الشعر عندك ؟ قال : السهل الممتنع » انتهى .

لا نعلم من أخبار الحارثي إلا شيئاً يسيراً جداً يؤخذ من شعره على سبيل الاستدلال في الأحوال والحوادث التي قيل فيها أو أشير اليها . من ذلك :

(١) البَزُّ : السلاح . ويرى محقق الكتاب أن الصواب (بِرّي) ولا نرى ذلك لأن المقام مقام حماسة ونجدة لا مقام إحسان وصلة .

(٢) هاعَ : خَفَّ وجزع . ورجل هاعٌ لاعٌ : جبان ضعيف .

(٣) في الأصل : ريّق . ومعنى رنّق : أقام واحتبس وانتظر . والهلواع : السريع .

(٤) الشعشاع : الطويل .

(٥) الأنطع : المريض الرأس والأرنبة ، ويريد به الثعبان .

أن عبد الملك لم يبق في بلدته الفَلَّجة فهي أضيق من أن تتسع لنبوغه في الشعر وطموحه فيه ، وقد ذكرها في شعره بصيغة التصغير فقال :

تصيَّفت السَّجُون ثم تخيَّرت لها من شماريخ الفُلَيْجة مرتعا

فقصد بغداد كعبة الشعراء يومئذ ، ويظهر أنه أخفق في مسعاه ورضي من الغنيمة بالإياب ، ولكن حيل بينه وبين الإياب ، فقد غضب عليه الرشيد وأمر بسجنه لسبب لا نعلمه ، فكتب الى أخيه من سجن الرشيد[1] شعراً يقول فيه معاتباً :

فلو كان[2] ما بي ـ لا يكنْ ـ بك لاغتدى إليـك وراح البِرُّ بي والتقرُّبُ

وقال أيضاً :

فإني إذ[3] أقيك بقيك مني ـ فلا تسبقْ به ـ علقٌ نفيسُ

واسم أخيه سعيد وقد توفي قبله فرثاه عبد الملك بقصائد أعجب بها الرواة والادباء ودلت على حسن إخائه ووفائه ، وسننقل ما بقي منها .

وخلَّف عبد الملك ولداً اسمه محمد كان شاعراً أيضاً ، ورد في حماسة ابن الشجري[4] ص ٢٣٥ قوله :

وكتيبةٍ كالليل بل هي أظلمُ فيها شعار بني النزال تَقَدَّموا
نهنهتُ أولاها بضربٍ صادقٍ هَبرٍ كما شُقَّ الرداءُ المُعْلَم
وعليَّ سابغةُ الذيولِ كأنها سلخٌ كسانيهِ الشجاعُ الأرقم

وحفيده الوليد بن محمد كان شاعراً أيضاً ، ورد في حماسة ابن الشجري ص ١٨٧ في باب صفات النساء ما نصه : قال الوليد بن محمد بن عبد الملك الحارثي :

عُقِدَ الحِقابُ[5] على نقاً من فوقهِ لَدْنٌ يميسُ من القَنا الخَطّارِ
فكأن أغصاناً تهـز برودها والحلي فوق نقا الكثيب الماري

---

(١) قانون البلاغة ضمن رسائل البلغاء للأستاذ محمد كرد علي ص ٤٤٨ الطبعة الثالثة .
(٢) في الأصل : فلو بك ما بي . . . .
(٣) في الأصل : إنْ
(٤) صحفتْ نسبة الحارثي في هذه الطبعة الى الحلي .
(٥) الحقاب : شيء تتخذه المرأة تعلّق به معاليق الحلي تشده على وسطها .

وتنفست[1] عن خمرة مسكوبة بمسيل رابية على نوّار
فغدت مبرقعة فلم أر قبلها شمساً تلاثُ ببرقع وخمار

وهكذا تسلسل الشعر في عبد الملك ونسله جيلاً بعد جيل .

* * *

شعره

أما البقية الباقية من شعر عبد الملك فهي في الحكمة والحماسة والفخر والمروءة والفروسية والرثاء والغزل وما إليها . وليس له في المدح والهجاء شيء . وأسلوبه عربي خالص متأثر بالإسلام ، جزل فصيح محكم رصين ، بعضه أشبه بشعر الأعراب . والذين يروون شعره من الرواة والأدباء والنقاد يبالغون بتقريظه فيجعلونه فوق المحدثين وفي الطليعة من الشعراء الإسلاميين .

وهذه البقية الباقية من شعره موزعة في كتب الأدب والمختارات منها : حماسة أبي تمام الطائي ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، وأخبار أبي تمام الطائي للصولي ، ومحاضرات الراغب الإصفهاني ، والإعجاز والإيجاز وخاص الخاص للثعالبي ، وربيع الأبرار للزمخشري (مخطوط) ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، وزهر الآداب للحصري ، والعمدة لابن رشيق ، وحماسة ابن الشجري ، والحماسة البصرية لأبي الحسن علي بن أبي الفرج البصري (مخطوط) ، وجمهرة الإسلام ذات النثر والنظام للشيزري (مخطوط) ، وشرح مقامات الحريري للشريشي ، والمضنون به على غير أهله لعبد الوهاب الخزرجي الزنجاني ، وغيرها .

وهذه أمثلة من شعره تدل على طبقته العالية وأسلوبه الجزل قال يتغزل[2] :

سلبتِ عظامي لحمها فتركتِها مُجرَّدةً تَضْحَى إليكِ وتَخْصَرُ

(١) في الأصل : وتنفث .
(٢) شرح حماسة أبي تمام الطائي للتبريزي ج ٣ ص ١٩٦

وأخليتِها من مُخِّها فتركتِها أنابيبَ[1] في أجوافها الريح تَصفِرُ
إذا سمعت باسم الفراقِ تقعقعت مفاصلها من هول ما تتنظّرُ
خذي[2] بيدي ثم ارفعي الثوب فانظري بِيَ الضُرَّ إلا أنني أتستّرُ
فما حياتي إن لم تكن لك رحمةٌ عليَّ ولا لي عنك صبر فأصبِرُ
فو الله ما قصّرتُ فيما أظنه رضاكِ ولكني محبٌّ مُكفَّرُ

وقال[3] :

وكذبتُ طرفي عنك والطرف صادقٌ وأسمعت أذني فيك ماليس تسمعُ
وماأسكن الأرض التي تسكنينها لئلا يقولوا صابرٌ ليس يجزع
فلا كمدي[4] يفني ولا لك ذمةٌ ولا عنكِ إقصارٌ ولا فيكِ مطمع
لقيت أموراً فيك لم ألق مثلها وأعظم منها منك ما أتوقع

وقال يرثي أخاه سعيد بن عبد الرحيم الحارثي[5] :

إني[6] لأرباب القبور لغابطٌ بسكنى[7] سعيدٍ بين أهل المقابرِ
وإني لمفجوعٌ به إذ تكاثرت عُداتي ولم أهتف سواه بناصر
فكنتُ كمغلوبٍ على نصل سيفه وقد حزَّ فيه نصل حرّانَ ثائر
أتيناه زوّاراً فأمجدنا قِرىً من البث والداء الدخيل المخامر
وأبنا بزرعٍ قد نما في صدورنا من الوجد يُسقَى بالدموع البوادر

(١) ويروى : قوارير في ...
(٢) ويروى : خذي بيدي ثم انهضي بي تبيّني .
(٣) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص ٢٢٤ .
(٤) في العمدة لابن رشيق ٢ / ٢١ : فلا كمدي يفنى ولا لك رقة .
(٥) شرح حماسة أبي تمام الطائي للتبريزي ٢/١٧٧ وزهر الآداب للحصري ٤/١٠٧
(٦) في زهر الآداب : وإني ....
(٧) في زهر الآداب : لسكنى ....

ولمّا حضرنا لاقتسام تُراثه أصبنا عظيماتِ النُّهى والمآثرِ
وأجمعنا بالصمت رَجْعَ جوابه فأبلغْ به من ناطق لم يحاورِ

وفي أخيه سعيد يقول[1] :

إن سلمياً وإن ظرفاً وإن جريالةً شَمُولا
نعيم دنيا وكل دنيا مصيرها عنه أن تزولا
إذا أرت فرحةً أخاها مالت إلى ترحة بديلا
وكل خير وكل شر فيها قمين بأن يحولا
إن سعيداً شقيق نفسي أبقى لنفسي جوىً دخيلا

وقال يتغزل :

أتى دون حلو الوعد من تكتم المطلُ وأيُّ هوىً يبقى إذا لم يكن بذلُ
فقالت وأبدى الوجد مادون صدرها فلم يبق بابٌ دون سرٍّ ولا قفل
أأشعرت بي أهلي عشية زرتنا جهاراً، وما عذري وقد شعر الأهل
فقلت فذا قد كان ما ليس راجعاً فهل عندكم إلا التحفظ والعذل
فقالت وما أزرى بنا من تحفظٍ علينا وقولي في عواقبه الذحل
فقلت لها مازرتكم قاصداً لكم وإن كان ما في الناس لي ولكم مثل
وماجئتكم[2] عمداً ولكنّ ذا الهوى إلى حيث يهوى القلب تهوي به الرجل

وقد قرظ الثعالبي البيت الأخير من هذه القطعة وأكبره ، قال في كتابه خاص الخاص : «من عجيب الشعر وطريفه ومليحه قول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي في معنى الصوفية ، جوّده وأحسنه وأحسن الإفصاح عنه وأبرزه في أبهى معرض وأرسله مثلاً سائراً ، وإن كان لم يعرف الصوفية ومذهبهم :

وما زرتكم عمداً ....»

(١) طبقات الشعراء ص ٢٧٨ .
(٢) وما زرتكم ... الإعجاز والإيجاز للثعالبي ص ١٧٧ وخاص الخاص له ص ٨٩ .

وقال في كتابه الإعجاز والإيجاز : « أمير شعره الذي لم يُقَل مثله : وما زرتكم عمداً .... »

وقال [1] :

أقول وقد صاح ابن دأية[2] غدوةً ... ببين النوى لا أخطأتك السبائكُ
أفي كل يومٍ رائعي أنت روعةً ... ببينونة الأحباب عرسك فارك
ولا بضت في خضراء ما عشت بيضةً ... وضاقت برحباها عليك المسالك

وقال [3] :

وما روضةٌ داريةٌ أسديةٌ ... مغنمةٌ زهراء ذات ثرى جَعْدِ[4]
بأحسن من حرٍّ تضمَّنَ حاجةً ... لحرٍّ فأوفى بالنجاح مع الوعد

وقال في شهر رمضان [5] :

شهر الصيام وإن عَظُمَتْ حرمته ... شهرٌ طويلٌ بطيء السير والحركه
يمشي الهوينا إذا ما رام فرقتنا ... كأنه : بطةٌ تَنْجَرٌ في شبكه
لا يستقرُ[6] فأمَّا حينَ يطلبنا ... فلا سُلَيْكٌ[7] يُدانيه ولا سُلَكه
كأنه طالبٌ ثأراً على فرسٍ ... أجَدَّ في إثر مطلوبٍ على رَمَكه[8]
يا صدقَ من قال أيامٌ مباركةٌ ... إن كان يكنى عن اسم الطول بالبركه

(١) ربيع الأبرار للزمخشري ج ٤ ورقة ٢٠٣ ظ مخطوط في دار الكتب الظاهرية .
(٢) ابن دأية : الغراب .
(٣) شرح مقامات الحريري للشريشي ج ١ ص ٥٨ .
(٤) في الأصل (صعد) والصواب ما أثبتناه يقال : تراب جعد : أي ندٍ .
(٥) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ج ٢ ص ٢٣٤ .
(٦) كذا في الأصل ولعل الصواب (لا يُستَفَزُّ) .
(٧) سُلَيْك بن السُّلَكة : من عدائي العرب المشهورين .
(٨) الرَّمَكة : البرذونة .

وقال [1] :

وأسوأ أيام الفتى يوم لا يرى　　له أحداً يزري عليه وينكرُ

وقال فيمن قصر عن آبائه [2] :

شريفٌ بجديهِ وضيعٌ بنفسه　　لئيمٌ محيـاه كريم المركَّبِ

قال الراغب : أخذه أبو تمام فقال :

يا أكرم الناس آباءً ومفتخراً　　وألأمَ الناس مبلوّاً ومختبرا

وقال [3] :

لاقيت من حبها ما لو على جبلٍ　　يلقى لطارت شقاقاً منه أفلاقُ

وقال [4] :

أرانا به الله ما لم تزلـــ　　تبشرنا حسنات الظنون

قصيدته اللامية

أما قصيدته اللامية التي مطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه　　فكل رداء يرتديه جميـلُ

فالمشهور بين الناس اليوم أنها للسموءل بن عادياء ، وعلى ذلك يرويها الأدباء في العصر الحاضر ويستظهرها الطلاب ، وهي من عيون الشعر العربي . على أن عدداً من الرواة الثقاة والأدباء والعلماء كان يرى أن القصيدة ليست للسموءل وإنما هي لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، وبعضهم كان يرى أن بعض أبياتها

(١) محاضرات الراغب الإصفهاني ج ١ ص ١٦٢ .
(٢) محاضرات الراغب الإصفهاني ج ١ ص ٢١١ .
(٣) محاضرات الراغب الإصفهاني ج ٢ ص ٥٠ .
(٤) محاضرات الراغب الإصفهاني ج ٢ ص ٧٠ .

للسموءل وأكثرها للحارثي ، فمن يرى أنها للحارثي ابن الأعرابي [1] والمرزوقي ، وروى أبو بكر الصولي في أخبار أبي تمام ص ١٤٠ بضعة أبيات منها وقال : (ومما يروى للسموءل وهو للحارثي) أما صاحب الأغاني فلم يثبت للسموءل منها إلا ثلاثة أبيات . وأوردها المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام على أنها للحارثي وقال وتنسب للسموءل ، وقال التبريزي في شرحه لحماسة أبي تمام إنها تنسب لعبد الملك الحارثي ونقل ذلك عن ابن الأعرابي . وأورد صاحب المضنون به على غير أهله ص ٣٧ بضعة أبيات من أولها ونسبها للحارثي وقال : ويقال انها للسموءل » .

ومن الأدلة على أنها للحارثي قوله فيها :

وما مات منا سيدٌ حتف أنفه ولا طُلَّ منا حيث كان قتيلُ

قال المرزوقي : « وقوله مات حتف أنفه يقال إن أول من تكلم به النبي ﷺ » .
وقال التبريزي : « ويقال إن أول من تكلم بقولهم حتف أنفه النبي ﷺ » .
فلا يمكن والحالة هذه أن يقال هذا في الجاهلية .

ومن الأدلة أيضاً قوله :

فإن بني الديَّان قطبٌ لقومهم تدور رحاهم حولهم وتجولُ

وبنو الديَّان أجداد عبد الملك الحارثي . قال التبريزي : « قال أبو محمد الأعرابي في رده على النمري قوله قال السموءل :

وأسيافنا في كل غربٍ ومشرقٍ بها من قراع الدار عين فلولُ

هذا البيت لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي لا للسموءل بن عادياء الغساني ،

(١) ديوان السموءل تحقيق الأب لويس شيخو ص ٢٥ و ٢٧ .

ويدلك على ذلك قوله في القصيدة : (فان بني الديَّان قطبٌ لقومهم) والديَّان هو يزيد بن . . . . بن الحارث بن كعب » قبيلة عبد الملك الحارثي .

* * *

وأطول ما بقي من شعره قصيدة عينية يبلغ عدد أبياتها نحواً من مائة بيت يرثي بها أخاه سعيد بن عبد الرحيم الحارثي ، أعجب بهـا الرواة والشعراء ، وفضله بها الأصمعي على جرير والفرزدق والأخطل ، ظفرنا بها كاملة برواية الرياشي عن الأصمعي في مخطوطة جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام لأمين الدين أبي الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة بن رسلان الشيزري سننشرها بعد تحقيقهـا في القسم الثاني من هذه المقالة إن شاء الله .

يتبع : خليل مردم بك

———



١ تشرين الأول سنة ١٩٥٧ م ٦ ربيع الأول سنة ١٣٧٧ هـ

عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي

موجز ترجمته ، منزلته في الشعر ، البقية الباقية من شعره وأمثلة منه ، قصيدته اللاميـــة المنسوبة الى السموءل ، قصيدته العينية

— ٢ —

قصيدته العينية

هذه القصيدة مرثية رثى بها الشاعر أخاه سعيد بن عبد الرحيم ، وهي من القصائد الطوال يبلغ عدد أبياتها نحواً من ماية بيت ، تدل على طولـــ نفَس الشاعر ، ومقدرته ، وجزالة أسلوبه ، وحسن تصرفه في تصوير حزنه ، وذكر محاسن أخيه ، ومبلغ الفجيعة بفقده ؛ فقد مثَّل لكل ذلك صوراً كاملةً ومشاهد ماثلة ، يمكن أن ينتزع الرسَّام منها لوحات تنبض بالحياة . وهو على تفننه بها لم يفارق عمود الشعر العربي ، بل جلاها مثالاً للأسلوب العربي الخالص ؛ ومزيته بها : سعة الخيال ، وتنويع الصور وتسلسلها ، في سبيل الإفصاح عما يتراءى له ويجيش في صدره .

ولقد ذكرنا في القسم الأول (١) من هذا البحث أننا ظفرنا بهذه القصيدة كاملةً برواية الرياشي عن الأصمعي في مخطوطة جمهرة الإسلام (٢) ذات النثر والنظام لأمين الدين (٣) أبي الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة بن رسلان الشيزري ، ولا نعرف كتاباً غيرها اشتمل على هذه القصيدة بتمامها ، على أن ابن المعتز أورد منها في كتابه طبقات الشعراء أربعة عشر بيتاً سنشير إليها .

قال ابن المعتز في طبقات الشعراء ص ٢٧٧ : «وللحارثي قصيدة يرثي فيها أخاه سعيد بن عبد الرحيم ليست بدون قصيدة متمم (٤) التي يرثي بها أخاه مالكاً وهي على روي تلك» .

وورد في جمهرة الإسلام ما نصه :

قال الرياشي : سألت الأصمعي عن محمد بن مناذر وجودة شعره ، فقال لي : أين أنت والحارثي ؛ قلت وهو أشعر منه ؟ قال إي والله ومن جرير والفرزدق والأخطل . قلت ما علمت أنه كذلك ؛ فقال ويحك ما سمعت مرثيته في أخيه سعيد ؟ ثم أنشدني :

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي م ٣٢ ص ٤٠١

(٢) في خزانة المجمع العلمي العربي نسخة مصورة من هذا الكتاب .

(٣) كان أبو الغنائم أديباً شاعراً وكان موجوداً في سنة سبع عشرة وستمائة فقد توفي في هذه السنة أو بعدها (ابن خلكان في ترجمة طغتكين بن أيوب ١ / ٢٩٨) .

(٤) هو متمم بن نويرة اليربوعي وقصيدته التي يرثي بها أخاه مالكاً من المراثي السبع المعدودة من عيون الشعر العربي وأولها :

لعمري وما دهري بتأبين مالكٍ ... ولا جزعاً مما أصاب فأوجعا

وفيها يقول :

فإن تكن الأيام فرّقن بيننا ... لقد بان محموداً أخي يوم ودّعا
وعشنا بخيرٍ في الحياة وقبلنا ... أصاب المنايا رهط كسرى وتُبّعا
وكنا كندماني جَذيمة حقبةً ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرّقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماعٍ لم نبت ليلةً معا
فتىً كان أحيا من فتاةٍ حييةٍ ... وأشجع من ليث إذا ما تمنعا

والقصيدة من قصائد جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص ١٤١

فَمَا أُمُّ سَقْبٍ (١) أَوْدَعَتْهُ قَرارَةً مِنَ ٱلأَرْضِ وَٱنْساحَتْ لِتَرْعَى (٢) وَتَهْجَعا
حَلِيسٍ (٣) كَمِثْلِ ٱلأَيْهُقَانِ ٱبْنِ لَيْلَةٍ أَمَدَّ (٤) قُوَاهُ أَنْ يَنُوءَ فَيَرْكَعا (٥)
وَيَهْتَزُّ فِي ٱلْمَشْيِ (٦) ٱلْقَرِيبِ كَأَنَّهُ قَضِيبٌ مِنَ ٱلْبَانِ ٱرْتَوَى (٧) فَتَرَعْرَعا
فَظَلَّتْ بِمُسْتَنٍّ (٨) ٱلصَّبا مِنْ أَمامِهِ تَبَغَّمُ (٩) فِي ٱلْمَرْعَى إِلَيْهِ لِيَسْمَعا
إِذَا غَفَلَتْ (١٠) نَادَتْ (١١) وَإِنْ نَابَ نَبْأَةٌ عَلَى سَمْعِها تَذْكُرْ طَلاَهَا فَتَرْفَعا (١٢)

---

(١) السَّقْب : ولد الناقة . وفي طبقات الشعراء لابن المعتز « فما أُمُّ خشفٍ .... »
والخشف : ولد الظبي .

(٢) في الأصل : لتروى ، واخترنا رواية طبقات الشعراء .

(٣) لحيس : أي لاتزال أمه تلحسه لقرب عهده بالولادة . وفي الطبقات : « كاون الأيهقان » .
والأيهقان : الجرجير البري .

(٤) في الطبقات : « أَمَرَّ قواه .... » .

(٥) في الأصل : « ويركما » والترجيح من الطبقات .

(٦) في الطبقات : « في الممشى .... » .

(٧) في الطبقات : « التوى » .

(٨) المُسْتَنّ : المضطرَب والمذهب .

(٩) بغمت الناقة وتبغمت : قطعت الحنين ولم تمده . وفي الطبقات : « تنغم .... » .

(١٠) في الطبقات : إذا أغفلت .... ولعلها : إذا قفلت أي عادت .

(١١) في الأصل : « زادت » . والترجيح من الطبقات .

(١٢) رفع البعيرُ في سيره : بالغ . ورواية الطبقات (فتربعا) وربع : توقف وانتظر وتحبس .

فَخَالَفَها (١) عاري ٱلفَوَاهِقِ (٢) شَاسِبٌ أَخُو قَفْرَةٍ أَضْحَى وَأَمْسَى مُجَوَّعا
فَأَنْهَلَ مِنْهُ بَعْدَ عَلٍّ وَلَمْ يَدَعْ لِمُلْتَمِسٍ إلاَّ وَشيقاً (٣) مُذَعْذَعا (٤)
فَجَاءَ بِرَيَّاهُ نَسِيمٌ مِنَ ٱلصَّبَا إِلَيْهَا (٥) وَرُزْءٌ جَرَّ ثُكْلاً فَأَوْجَعا (٦)
فَأَعْجَلَهَا عَنْ حَمْلِها ٱلْوَجْدَ فَٱرْتَمَتْ عَلَى دَهَسٍ (٧) لا تَأْتَلِي أَنْ تَشَنَّعا (٨)
مُوَلَّهَةٌ لَمْ يَتْرُكِ ٱلْوَجْد عِنْدَها بِوَاحِدِهَا إلاَّ فُؤَاداً مُرَوَّعا

---

(١) خالفها : أي قصد ولدها وهي مولية عنه .

(٢) في الأصل : « فخالفها عاري التراقي ابن قفرةٍ » والترجيح من الطبقات ، وكأنه أراد بالفواهق جمع فَهْقَة وهي عظمٌ عند مركب العنق ولكن جمعها فِهاق ، ولذلك رأى محقق الطبعة المصرية أنها مصحفة عن « النواهق » وقال : « النواهق : العظام الشاخصة بجوار العين . » ولكن يرد على ذلك أن النواهق لذوات الحافر وليست للسباع المفترسة . والشاسب : الضامر المهزول .

(٣) الوشيق : لحم يقدد حتى ييبس . وفي الطبقات : « إلاَّ شريحا » والشريح : القطعة من اللحم وكل ممين من اللحم ممتد .

(٤) المذعذع : المبدّد . وفي الأصل « مدعدعا » .

(٥) في الطبقات : « صباحًا وَدَرٌّ .... » .

(٦) قال ابن المعتز في الطبقات بعد هذا البيت : « وهذا كلام يعجز الشعراء ويفضحهم » .

(٧) الدَّهْسُ : المكان السهل ليس برمل ولا تراب ، ويجوز أن يكون : « على دَهَشٍ » .

(٨) شَنَّع البعيرُ وتشَنَّع : انكمش وجد في السير .

فَطَافَتْ بِـأَلْقَاهُ وَمَصْرَعِ جَنْبِـهِ فَسَافَتْ(١) دَماً مِنْهُ وَشِلْواً مُقطَّعـا
لَحَارَتْ وَبَارَتْ وَٱسْتَطَارَتْ وَرَجَّعَتْ حَنِيناً فَأَبْكَتْ كُلَّ مَنْ كَانَ مُوجَعا
وَنَدَّتْ(٢) عَلَى وَحْشِيِّهَا تَرْكَبُ ٱلرُّبَى وَتَنْفِي ٱلْحَصَى أَخْفَافُها قَدْ تَصَدَّعا
فَـلأْياً(٣) بِـلَأْيٍ مَا ثَنَوْهَا عَشِيَّةً وَشَدُّوا بِعَيْنَيْهَا ٱلْحِبَالَ لِتَرْبَعَا(٤)
فَقَامَتْ أَخِيرَ ٱلـبَرْكِ(٥) يَدْعُو حَنِينُها حَنِينَ ٱلْـوَالِيهِ(٦) ٱلثَّكَالَى ٱلْمُرَجَّعا
وَقُمْنَ بِجَنْبَيْهَا فَأَسْعَدْنَ شَجْوَهَا كَمَا أَسْعَدَ ٱلْحَيُّ ٱلْمُصابَ ٱلْمُفَجَّعا
فَإِنْ سَجَرَتْ(٧) وَهْناً سَجَرْنَ لِسَجْرِهَا وَإِنْ سَجَعَتْ(٨) وَهْناً تَجَاوَبْنَ سُجَّعا

* * *

(١) سافَتْ . شَمَّتْ ، والشِّلْوُ : العضو من أعضاء اللحم وكل مسلوخ أكل منه شيء وبقيت منه بقية .
(٢) نَدَّ البعير : نفر وذهب على وجهه شارداً . وحشيُّ كل دابة : شقه الأيمن ، وإنسيه : شقه الأيسر .
(٣) اللأي : الإبطاء والاحتباس والشدة .
(٤) في الأصل : «لترفعا» ولعل ما أثبتناه الصواب . يقال رفع البعير : بالغ في سيره ، وربع : توقف وانتظر وتحبس .
(٥) البَرْك : إبلُ أهل الحِواء كلها التي تروح عليهم بالغةً ما بلغتْ وإن كانت ألوفاً .
(٦) المَوالِيهُ : جمع مِيلاه وهي الشديدة الحزن والجزع على ولدها .
(٧) سَجَرت الناقة سَجْراً وسُجُوراً : مَدَّت حنينها . والوهن : نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه .
(٨) سجعت الناقة : مدت حنينها على جهة واحدة .

فَحَنَّ نساءُ الْحَيِّ مِنْ بَعْدِ هَجْعَةٍ لِصَوْتٍ دَعَا إِثْكَالَهُنَّ فَأَسْمَعَا
وَأَقْبَلْنَ مِنْ هُنَّا وَهُنَّا وَأَسْفَرَتْ سُتُورُ الدُّجَى عَنْ مَأْتَمٍ قَدْ تَجَمَّعَا
فَمَا شَقَّ[1] ضَوْءُ الْفَجْرِ حَتَّى تَصَدَّعَتْ جُيُوبٌ[2] وَحَتَّى فَاضَ دَمْعٌ فَأَسْرَعَا
بِأَوْجَعَ مِنِّي يَا سَعِيدُ تَحَرُّقاً عَلَيْكَ وَلٰكِنْ لَمْ أَجِدْ عَنْكَ مَدْفَعَا

* * *

فَلَوْ أَنَّ شَيْئاً فِي لِقَائِكَ مُطْمِعٌ صَبَرْتُ وَلٰكِنْ لَا أَرَى فِيهِ مَطْمَعَا
فَأُقْسِمُ لَا تَنْفَكُّ نَفْسِي شَجِيَّةً عَلَيْكَ وَوَجْهِي حَائِلَ اللَّوْنِ أَسْفَعَا
وَقَدْ كُنْتُ أَلْحَى مَنْ بَكَى لِمُصِيبَةٍ فَهَا أَنَدَا قَدْ صِرْتُ أَبْكَى وَأَجْزَعَا
وَقَدْ قَرَعَتْنِي الْحَادِثَاتُ وَرَيْبُهَا بِثُكْلِكَ حَتَّى لَمْ أَجِدْ فِيَّ مَقْرَعَا
وَقَدْ كُنْتُ مَغْبُوطاً وَقَدْ كُنْتُ مُصْعَباً فَأَصْبَحْتُ مَرْحُوماً لِفَقْدِكَ أَخْضَعَا
وَقَدْ كُنْتَ لِي أَنْفاً حَمِيًّا فَفَاتَنِي بِكَ الْقَدَرُ الْجَارِي فَأَصْبَحْتُ أَجْدَعَا
فَلَوْ أَنَّ طَوْداً مِنْ تِهَامَةَ ضَافَهُ مِنَ الْوَجْدِ مَا قَدْ ضَافَنِي لَتَضَعْضَعَا
فَيَا سَيِّداً قَدْ كَانَ لِلْحَيِّ عِصْمَةً وَيَا جَبَلاً قَدْ كَانَ لِلْحَيِّ مَفْزَعَا
دَرَأْتُ بِهِ جَبْرَ الرَّزَايَا وَلَمْ أَجِدْ لَهُ خَلَفاً فِي الْغَابِرِينَ فَأَقْنَعَا

---

(١) شَقَّ ضوء الفجر : طلع .

(٢) الجيوب : جمع جَيْب : وهو القلب والصدر .

وَأَبْيَضَ وَضَّاحِ ٱلْجَبِينِ كَأَنَّهُ سَنَا قَمَرٍ أَوْفَى مَعَ[1] ٱلْعَشْرِ أَرْبَعَا
قَطِيعَ لِسَانِ ٱلْكَلْبِ عَنْ نَبْحِ ضَيْفِهِ مُوَطَّأَ أَكْنَافِ ٱلرِّوَاقِ سَمَيْذَعَا
وَمُجْتَنِباً لِلْقَوْلِ فِي غَيْرِ حِينِهِ حِفَاظاً وَقَوَّالاً إِذَا قَالَ مِصْقَعَا
يَصُونُ بِبَذْلِ ٱلْمَالِ نَفْساً كَرِيمَةً وَعِرْضاً حِمًى مِنْ كُلِّ سُوءٍ مُمَنَّعَا
فَتَى ٱلْخَيْرِ لَمْ يَهْمُمْ بِغَدْرٍ وَلَمْ يُعَبْ بِعَجْزٍ وَلَمْ يَمْدُدْ إِلَى ٱلذَّمِّ إِصْبَعَا
وَلَا كَانَ فِي ٱلنَّادِي فَيَهْجُرَ قَوْمُهُ بِأَمْلَا مِنْهُ فِي ٱلْعُيُونِ وَأَرْوَعَا
وَلَا غَابَ إِلَّا نَافَسَ ٱلْقَوْمُ بَيْنَهُمْ وَلَا آبَ إِلَّا كَانَ لِلْحَيِّ مَقْنَعَا
وَمَا زَالَ حَمَّالاً لِكُلِّ عَظِيمَةٍ ـ إِلَى أَنْ قَضَى مِنْ نَحْبِهِ ـ مُذْ تَرَعْرَعَا
فَتًى كَانَ لَا يَدْعُو إِلَى ٱلشَّرِّ نَفْسَهُ فَإِنْ جَاءَهُ ٱلشَّرُّ ٱمْتَطَاهُ فَأَوْضَعَا
وَيَرْكَبُ صَعْبَ ٱلْأَمْرِ حَتَّى يَرُدَّهُ عَلَى عَقِبٍ مِنْهُ ذَلُولاً مُوَقَّعَا[2]
وَأَمْرٍ كَحَدِّ ٱلسَّيْفِ قَدْ خَاضَ غَمْرَهُ بِهِمَّاتِهِ[3] كَيْمَا يَضُرَّ وَيَنْفَعَا
رَأَتْهُ ٱلْمَنَايَا خَيْرَنَا فَٱخْتَرَمْنَهُ وَكُنَّ بِتَعْجِيلِ ٱلْأَخَايِرِ نُزَّعَا

(١) هذا البيت أحد الأبيات الأربعة عشر التي نقلها ابن المعتز من هذه القصيدة في كتابه طبقات الشعراء ، والرواية هناك : «... على العشر أربعا» .
(٢) الموقّع : البعير تكثر آثار الدَّبَر عليه : وهي قروح تحدث من الرحل ونحوه .
(٣) كذا ولعله : بهمته .

تَقَنَّصْنَهُ مِنْ دُونِ بَيْضَاءَ نَثْلَةٍ (١) وَعَضْبٍ إِذَا مَا صَابَ لِلْقَطْعِ أَسْرَعَا

* * *

وَأَجْرَدَ خَوَّارِ ٱلْعِنَانِ (٢) كَأَنَّهُ عُقَابٌ هَوَتْ مِنْ بَيْنِ نِيقَيْنِ أَتْلَعَا
أَشَقَّ (٣) طَوَاهُ ٱلرَّكْضُ فِي كُلِّ غَارَةٍ وَحَطْمُ ٱلْقَنَا بِٱلنَّحْرِ حَتَّى تَجَزَّعَا
وَأَشْرَسَ (٤) يَسْتَقْرِي ٱلْكُمَاةَ أَجَابَهُ فَبَوَّأَهُ فِي مُلْتَقَى ٱلْخَيْلِ مَصْرَعَا
جَهِيضاً (٥) يَذُبُّ ٱلطَّيْرَ عَنْهُ بِكَفِّهِ فَيُحْجِمْنَ عَنْهُ ثُمَّ يَرْجِعْنَ شُرَّعَا
فَمِنْ وَالِغٍ حَصْدَاءَ جِلْدَةُ ظَاهِرِهِ وَمِنْ نَاهِشٍ أَدْفَى (٦) ٱلْجَنَاحَيْنِ أَقْرَعَا

* * *

كَأَنَّ سَعِيدَ ٱلْخَيْرِ لَمْ يَهْدِ (٧) غَارَةً كَرِجْلِ ٱلْجَرَادِ ٱلْتَفَّ ثُمَّ تَرَفَّعَا

---

(١) النثلة : الدرع الواسعة .
(٢) فرس خوّار العنان : سهل المعطف كثير الجري . والنّيق : أرفع موضع في الجبل .
(٣) الأشَقُّ من الخيل : الذي يشتق في عدوه يميناً وشمالاً وقيل البعيد ما بين الفروج والطويل .
وتجزّع : تقطع وتفرق .
(٤) الأشرس : الجريء في القتال .
(٥) الجهيض : الملقى .
(٦) أدفى الجناحين : طويل الجناحين . وفي الأصل (أزقى الجناحين) .
(٧) هَدَيُ الغارة : تقدمها .

وَلَمْ يَصْبَحِ(١) ٱلْخَيْلَ ٱلْحُاوِلَ بِخَيْلِهِ فَيَتْرُكَ مِنْهُمْ سَاحَةَ ٱلدَّارِ بَلْقَعا
وَمَا ذَرَّ قَرْنُ ٱلشَّمْسِ حَتَّى كَأَنَّهَا تُرَى بِرِجَالِ ٱلْحَيِّ خُشْباً(٢) مُصَرَّعا
وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَلْقَى بِكُلِّ مَجَازَةٍ لَقِيتَ لَهُ جَسْرَى وَسَخْلاً مُوَضَّعا(٣)
وَإِنْ غَشِيَتْ(٤) حَزْناً(٥) سَنَابِكُ خَيْلِهِ تَضَاءَلَ حَتَّى يُصْبِحَ ٱلْحَزْنُ أَجْرَعا
وَتَبْعَثُ يَقْظَانَ ٱلتُّرَابِ جِيَادُهُ وَنَائِمَهُ حَتَّى يَهُبَّ فَيَسْطَعا

* * *

وَلَمْ(٦) يَسْرِ بِٱلرَّكْبِ ٱلْخِفَافِ لُحُومُهُمْ عَلَى قُلُصٍ تَثْنِي قَوَائِمَ ظُلَّعا
فَأَظْهَرَ وَٱلْحِرْبَا يَنُوفُ بِعُودِهِ مُوَلٍّ قَفَاهُ ٱلشَّمْسَ يَحْدِينَ رُفَّعا
لَهَا وَقْعَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وتامِيمه(٧) تَجْنِي ٱلنَّجَاءَ ٱلْهَمَلَّعا(٨)

(١) صَبَّحَ القومَ : أتاهم وأغار عليهم صباحاً .
(٢) كذا ولعلها (حَشْداً) .
(٣) كذا ولعله (مُبَضَّعا) أي مقطَّع .
(٤) في الأصل : عشيت .
(٥) في الأصل : جرياً .
(٦) أي : وكأنه لم يسر ....
(٧) كذا في الأصل ولم يظهر لنا وجه الصواب .
(٨) الهَمَلَّع : السير السريع . وفي الأصل : الهميلعا .

وَتَسْتَوْدِعُ ٱلْمَعْزَاءَ(١) عِنْدَ ٱنْبِعَاثِهَا بَنَاتِ ٱلْحَوَايَا(٢) وَٱلشَّرِيجَ ٱلْمُقَطَّعَا
كَأَنَّ عَلَى أَكْوَارِهَا حِينَ تَنْفَرِي سَرَابِيلُهُمْ عَنْهُمْ أَجَادِلَ وُقَّعَا
تَرَى كُلَّ دَهْمَاءِ ٱلْحَوَاشِي مَكُورَةً عَلَى كُلِّ وَجْهٍ حَالَ مِنْهُمْ وَأَخْدَعَا

* * *

وَلَمْ(٣) يَهَبِ ٱلْكُومَ ٱلْمَرَايَا(٤) وَعَبْدَهَا كَأَنَّ بِهَا نَخْلاً بِنَجْرَانَ يُنَّعَا
مُضَمَّنَةً أَمْثَالَهَا فِي بُطُونِهَا مُكَحَّلَةً قُبْلَ(٥) ٱلْمَرَافِقِ مُزَّعَا(٦)
تَرِفُّ بِأَمْثَالِ ٱلْمَجَادِلِ(٧) لَمْ يَدَعْ رَضِيخُ ٱلنَّوَى وَٱلْقَضْبِ(٨) فِيهِنَّ مَضْبَعَا(٩)

---

(١) المَعْزاء : الأرض الصلبة الكثيرة الحصى .

(٢) الحوايا : جمع حَوِيَّة وهي ما تحوّى أي انقبض واستدار من الأمعاء . وكساء يحشى بهشيم النبات ويجعل حول سنام البعير .

(٣) أي : وكأنه لم يهب ....

(٤) المرايا : جمع مَرِيّ وهي الناقة الكثيرة اللبن .

(٥) القُبْل : جمع أقبل وهو البعيد ما بين أوساط الساقين .

(٦) مزع البعير : أسرع . وفي الأصل (نُزَّعا) .

(٧) جمع مِجدل : وهو القصر .

(٨) القضب أغصان البقل ، والرطب . والكلمة في الأصل غير منقوطة .

(٩) ضبعت الناقة : مدت ضبعيها في سيرها واهتزت .

تَصَيَّفَتِ ٱلَّجُونَ[١] ثُمّ تَخَيَّرَتْ لَهَا مِنْ شَمَارِيخِ[٢] ٱلْفُلَيْجَةِ[٣] مَرْبَعا[٤]
إِذَا شَقْشَقَتْ[٥] فِيهَا حَسِبْتَ هَدِيرَهَا هَمَاهِمَ رَعْدٍ آخِرَ ٱللَّيْلِ رُجَّعا

* * *

وَلَمْ[٦] يُحْرِمِ[٧] ٱلْبِيضَ ٱللَّوَاتِي كَأَنَّهَا نُجُومُ ٱلثُّرَيَّا مَسْقَطَ ٱلْفَسْرِ طُلَّعا
مُجَلَّلَةً خَزًّا وَقَزًّا يَطَأْنَهُ بِأَقْدَامِهَا وَٱلسَّابِرِيَّ[٨] ٱلْمُضَلَّعا
تَهُزُّ إِذَا تَمْشِي مُتُونًا كَأَنَّمَا تَهُزُّ بِهِنَّ ٱلرِّيحُ عِيدَانَ[٩] نُيَّعا
كَأَنَّ ٱلْبُرَى[١٠] وَٱلْعَاجَ فِي قَصَبَاتِهَا تَغَمَّرْنَ[١١] ضَالاً أَوْ تَغَمَّرْنَ خِرْوَعا[١٢]

* * *

(١) الَّجُّون : بلد بالأُردن بينه وبين طبرية عشرون ميلاً (معجم البلدان) .
(٢) الشماريخ : رؤوس الجبال .
(٣) الفُلَيْجَة : تصغير الفَلَجَة (معجم البلدان) والفَلَجَة من أرض دمشق وهي بلدة الشاعر كما تقدم .
(٤) المَرْبَع : الموضع يقام فيه فصل الربيع .
(٥) شقشق الفحلُ : هدر .
(٦) أي : وكأنه لم يحرم ...
(٧) أحرم الشيء : جعله حراما . وفي الأصل (ولم تحدم) .
(٨) السابري : النسيج الجيد نسبة الى سابور على غير القياس .
(٩) ناع الغصنُ : مال .
(١٠) البُرَى : جمع بُرَة وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال .
(١١) كذا في الأصل ولم يظهر لنا صوابه .
(١٢) الخِرْوَعُ : كل نبت ضعيف يتثنى .

تَرَى ٱلنَّاسَ أَرْسَالاً إِلَيْهِ كَأَنَّمَا ... تَضَمَّنَ أَرْزَاقَ ٱلْعُفَاةِ لَهُمْ مَعَا
فَمِنْ صَادِرٍ قَدْ آبَ بِٱلرِّيِّ حَامِدٍ ... وَمِنْ وَارِدٍ شَاحٍ بِفِيهِ لِيَكْرَعَا
أَفَاتَ (١) بِإِبْقَاءٍ عَلَى ٱلْعِرْضِ مَالَهُ ... فَأَنْجَحَ إِذْ أَكْدَى ٱلْبَخِيلُ وَأَوْضَعَا
وَلَا يَسْتَخِصُّ ٱلْقِدْرَ مِنْ دُونِ جَارِهِ ... لِيَشْبَعَ وَٱلْجِيرَانُ يُمْسُونَ (٢) جُوَّعَا
جَوَادٌ إِذَا مَا أَلْصَقَ ٱلْمَحْلُ بِٱلثَّرَى ... وَضَاقَ لِئَامُ ٱلنَّاسِ عَنْهُ تَوَسَّعَا
كَسَاهُ ٱلْحَيَاءَ ٱلْجُودُ حَتَّى لَوَ ٱنَّهُ ... يُجَرَّدُ مِنْ سِرْبَالِهِ مَا تَمَنَّعَا
وَيُلْقِي رِدَاءَ ٱلْعَصْبِ (٣) قَبْلَ ٱبْتِذَالِهِ ... وَقَبْلَ (بِلَاهُ) (٤) ٱلْحَضْرَمِيَّ ٱلْمُرَصَّعَا
إِذَا ٱلْعَرَقُ ٱلْمَرْشُوحُ بَلَّ رِدَاءَهُ ... جَرَى ٱلْمِسْكُ مِنْ أَرْدَانِهَا (٥) فَتَضَوَّعَا
فَيَوْماً تَرَاهُ بِٱلْعَبِيرِ مُضَمَّخاً ... وَيَوْماً تَرَاهُ بِٱلدِّمَاءِ مُلَمَّعَا
وَيَوْماً تَرَاهُ يَسْحَبُ ٱلْوَشْيَ غَادِياً ... وَيَوْماً تَرَاهُ فِي ٱلْحَدِيدِ مُقَنَّعَا

---

(١) هذا البيت والذي يليه من الأبيات الأربعة عشر التي نقلها ابن المعتز من هذه القصيدة في كتابه طبقات الشعراء والرواية هناك : «أناف ....» وليس كذلك .

(٢) في طبقات الشعراء : (يمشون) والصواب خلافه .

(٣) العَصْب : ضرب من البرود . وفي الأصل (العضب) وهو تصحيف .

(٤) في الأصل (تلاد) ولعل الصواب ما أثبتناه . والحضرمي : النعل .

(٥) كذا بالأصل ولعله : (من أردانه) .

إِذَا⁽¹⁾ نَالَ مِنْ أَقْصَى مَدَى⁽²⁾ ٱلْمَجْدِ غَايَةً سَمَا طَالِبَاً مِنْ تِلْكَ أَسْنَى وَأَرْفَعَا
أَجَلَّ عَنِ ٱلْعُورِ ٱلْهَوَاجِرِ سَمْعَهُ وَوَقَّرَهُ⁽³⁾ مِنْ أَنْ تُقَالَ فَيَسْمَعَا
لَهُ رَاحَةٌ فِيهَا حِبَاً⁽⁴⁾ لِصَدِيقِهِ وَأُخْرَى⁽⁵⁾ سَقَتْ أَعْدَاءَهُ ٱلسُّمَّ مُنْقَعَا

* * *

فَمَا فُجِعَ ٱلْأَقْوَامُ مِنْ رُزْءِ هَالِكٍ بِأَعْظَمَ مِمَّا قَدْ رُزِئْتُ وَأَفْظَعَا
وَمَنْ طَابَ نَفْساً عَنْ أَخٍ لِوَدَاعِهِ فَمَا طِبْتُ نَفْساً عَنْ أَخِي يَوْمَ وَدَّعَا
فَوَا عَجَبَاً لِلْأَرْضِ كَيْفَ تَأَلَّبَتْ⁽⁶⁾ عَلَيْهِ وَوَارَتْ ذَلِكَ ٱلْفَضْلَ أَجْمَعَا
وَيَا بُؤْسَ هَذَا الدَّهْرَ مِنْ ذِي تَلَوُّنٍ وَذِي فَجَعَاتٍ مَا أَفَظَّ وَأَفْظَعَا

(١) قال ابن المعتز : «هذا البيت سجدة للشعراء» وهو مع البيتين اللذين بعده آخر ما نقله ابن المعتز من الأبيات الأربعة عشر من هذه القصيدة في كتابه طبقات الشعراء .
(٢) في طبقات الشعراء : (عرى المجد) .
(٣) في طبقات الشعراء : (ونزّهه) .
(٤) في طبقات الشعراء : (الحبا) .
(٥) في طبقات الشعراء : (وأخرى لمن عادى بها السم منقعا) .
(٦) في الأصل (تألمت) .

هُوَ ٱلْمُتْعِسُ(١) ٱلنُّعْمَانَ(٢) قَسْراً وَقَبْلَهُ أَبَا كَرِبٍ(٣) وَٱلأَيْهَمَيْنِ(٤) وَتُبَّعا(٥)

وَزَيْدَ بْنَ(٦) كَهْلاَنٍ وَعَمْرَو بْنَ(٧) عَامِرٍ وَحُلْوَانَ(٨) أَرْدَى عَنْوَةً وَٱلْهَمَيْسعا(٩)

فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي أَضْحَى يُؤَمِّلُ بَعْدَهُمْ فَلاَحاً وَقَدْ كَانُوا أَعَزَّ وَأَمْنَعا

وَمَا أَحَدٌ إِلاَّ لَهُ ٱلْمَوْتُ نَاصِبٌ بِمَوْقَعَةٍ(١٠) مِنْهُ حَبَائِلَ صُرَّعا

وَكُلُّ ٱمْرِئٍ مِنْهَا بِمَنْزِلِ(١١) قُلْعَةٍ وَإِنْ وَلَدَ ٱلأَوْلاَدَ فِيهَا وَجَمَّعا

***

---

(١) في الأصل : المعمس .

(٢) هو أبو قابوس النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة ممدوح النابغة الذبياني قتله كسرى .

(٣) أبو كرب أسعد بن مالك الحميري من التبابعة .

(٤) الأيهم الأول والأيهم بن جَبَلة ملكان من ملوك غسان في الشام .

(٥) تُبَّع الحميري : حسان بن أسعد من أعاظم تبابعة اليمن ثار عليه جماعة من قومه فقتلوه .

(٦) زيد بن كهلان : ينتهي اليه نسب عدة من قبائل العرب القحطانية .

(٧) عمرو بن عامر مُزَيْقِياء جد بني جفنة ملوك غسان .

(٨) هو ابن عمرو بن عامر .

(٩) الهميسع بن حمير : ملك بعد أبيه وهو أبو الملوك التبابعة والأقيال والأذواء .

(١٠) موقَعة الطائر : موضع يقع عليه .

(١١) منزل قُلْعة : لا يُملك ، ومجلس قُلعة : يُقلع عنه الجالس إذا جاء من هو أعز منه ، والدنيا دار قُلعة : أي انقلاع وارتحال .

وبعد فالناظر في هذه القصيدة نظرة متدبر يرى أنها أشبه بشعر العصر الأموي بل بشعر العصر الجاهلي ، ويتبين أن صاحبها شامي من العرب القحطانية ، فلقد ذكر في أواخرها مراتع إبله في (اللّجُّون) و (الفليجة) وهما بالشام و (الفَلَجة) بلدة الشاعر ، كما ذكر ملوك اليمن وأقيالها وتبابعتها وأذواءها ، وملوك اللخميين في الحيرة ، وملوك غسان في الشام ، وكل أولئك من العرب القحطانية ، ذكر مصارعهم وانقضاء دولهم وغدر الدهر بهم على سبيل التأسي والاعتبار .

ولئن كان لمتمم بن نويرة فضل السبق في قصيدته التي رثى بها أخاه مالكاً ، فإن للحارثي في قصيدته هذه التي عارضه بها مزية الاستقصاء والتنويع في تمثيل حزنه وتصويره .



استدراك

ذكرنا في القسم الأول في هذه المقالة — المنشور في الجزء الماضي من هذه المجلة — الأدلة التي تثبت أن القصيدة اللامية التي مطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ

لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي . وقد اطلعنا منذ بضعة أيام على دليل جديد يعد من أقوى الأدلة في كتاب عيار الشعر لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوي المتوفى سنة ٣٢٢ هـ المطبوع في مصر سنة ١٩٥٦ م .

عقد ابن طباطبا في كتابه المذكور فصلاً مهّد له بقوله : «فمن الأشعار المحكمة المتقنة ، المستوفاة المعاني ، الحسنة الرصف ، السلسة الألفاظ ، التي قد خرجت خروج النثر سهولةً وانتظاماً ، فلا استكراه في قوافيها ، ولا تكلف في معانيها» وأورد مختارات من أحسن الشعر لجماعة من كبار الشعراء حتى انتهى إلى قوله : وكقول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي :

تعيّرنا أنّا قليـلٌ عديدُنا فقلتُ لها إنّ الكرامَ قليلُ

ثم أورد بعد هذا البيت أربعة عشر بيتاً على سبيل الاختيار وعلى أنها للحارثي . انظر عيار الشعر ص ٤٨ و ٦٥ و ٦٦ .

خليل مردم بك